1989

مجلة المجمع العلمي العربي

تشرين الثاني وكانون الأول سنة ١٩٤٤ ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٣٦٣

التصحيف والتحريف

لضعف التدوين عند العرب في أول الإسلام وقع مع طول الزمن وكثرة الرواة ودخول العجمة على اللغة تصحيف وتحريف في بعض ألفاظ السنة والشعر والخطب وزاده كثرةً كون الأمة كانت تكتب أولاً بالخط الكوفي بدون إعجام ثم عمدت إلى هذا الخط المتعارف وهي تغفل فيه النقط أيضاً . وكان من جهلة النساخ بلاء على الكتب يتلافاه الوراقون الذين يتوخون قراءة الكتب على مؤلفيها أو على العلماء المدققين فتصدر سليمة في الجملة .

وقديماً ألف المؤلفون في تصحيح غلطات أهل كل فن ولا سيما الحديث واللغة وقد توفرت العناية بفنون الحديث وخدم خدمة لم يُخدمها فن مثله . وللمتأخرين من الكتب المطبوعة في هذا الشأن « المشتبه في اسماء الرجال » للحافظ الذهبي و « كتاب الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط » لمحمد بن طاهر المقدسي و « تحفة ذوي الأرب في مشكل الأسماء والنسب » لابن خطيب الدهشة و « لبُّ اللباب في تحرير الأنساب للسيوطي » وغير ذلك من المطبوع في بلاد الغرب . ولفرط عناية القوم بالروايات الصحيحة ، وخوفهم من تسرب العبث اليها كانوا يضبطون كل كلمة لا بالشكل فقط بل بالتعيين بالحروف وبيان المعجم منها وغير المعجم . وقد عُدَّ كتاب وفيات الأعيان لابن خلِّكان من أفضل كتب الأنساب والتراجم بما ضبطه من أسماء الأعلام . وآخر من عني من أهل هذا العصر بتصحيح الأغلاط العلامة أحمد تيمور باشا رحمه الله فإنه صحح غلطات «لسان العرب» لابن المكرم وغلطات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« القاموس المحيط » للفيروزابادي فأحسن إلى اللغة كما أحسن اليها العلامة الشنقيطي بتصحيحه بمعاونة الأستاذ الإمام محمد عبده كتاب المخصص لابن سيده كما أحسن هذا للأدب بتصحيحه كتاب « دلائل الإعجاز » لعبد القاهر الجرجاني ، ونشر الأستاذ محمود مصطفى نحو الف علم من أعلام الأنامي والمواضع في كتاب أسماه «إعجام الأعلام»

تصحيح أغلاط النساخ والرواة استغرق في كل عصر بعض أوقات المشتغلين ، ومن الأئمة الذين ردوا كل كلام إلى نصابه الصحيح في المتقدمين ابو احمد العسكري المتوفى سنة ٣٨٢ ، وهو غير صاحب الصناعتين أبي هلال العسكري المتوفى بعد سنة ٣٩٥ ، وكلاهما في العلم والأدب غاية ، وفي الإجادة في التأليف المثل الأعلى . ألف أبو أحمد العسكري كتابه التصحيف والتحريف وطبعت مطبعة الظاهر في القاهرة في سنة ١٣٢٦ — ١٩٠٨ الثلث الأول منه ولا يزال الأصل محفوظاً في دار الكتب المصرية . وقد عرضت على المجلس الأعلى لدار الكتب إعادة طبع الكتاب برمته فتفضل وأجاب على مقترحي . وقد شرح المؤلف فيه « الألفاظ والاسماء المشكلة التي تتشابه في صورة الخط فيقع فيها التصحيف ويدخلها التحريف ، مما يعرض في ألفاظ اللغة والشعر ، وفي اسماء الشعراء وأيام العرب وأسماء فرسانها ووقائعها وأماكنها وما يعرض في علم الأنساب وغيرها من الإشكال فيصحفها عامة الناس ويغلط فيها بعض الخاصة ولا يفطن لها إلا من افتن في العلوم ، ولقي العلماء والرواة والمتقدمين في صناعتهم ، المتقنين لما حفظوه ، وأخذ من أفواه الرجال ولم يعول على الكتب الصحفية » إلى أن قال : « فالاحتراس من التصحيف لا يدرك إلا بعلم غزير ، ورواية كثيرة ، وفهم كبير ، وبمعرفة مقدمات الكلام ، وما يصلح أن يأتي بعدها مما يشاكلها » . وقد ضمن كتابه هذا ما يحتاج اليه أهل الأدب وجعله أبواباً منها ما جاء في قبح التصحيف وذم المصحفين ولكن التصحيف ومن ابتلي به ونوادر من التصحيف ، وما روي من أوهام البصريين وأوهام الكوفيين وتصحيفات لقوم شتى وما صحف في الكتب المشهورة كالحماسة ، وما يشكل ويصحف من أسماء الشعراء ، وما يشكل من أيام العرب واسماء الفرسان وما يصحف في الأنساب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والأماكن الخ . وكلها نافع للمشتغلين في تقويم منآد بعض ما سقط فيه القدماء ، دالة على سبيل النجاة لتوقي الهفوات ولقد وقع لي ولغيري ممن عنوا بنشر كتب السلف أمور تضحك من التصحيف والتحريف ، ما كان أولاها بالتدوين كما دون العسكري ما وقع له ولغيره من هذا القبيل في كتابه المتمع . من ذلك أني بقيت سنين أنا وأساتذتي لا نعرف ما هي « حمرايا » وكانت قرية في ظاهر دمشق ، دعا اليها الشاعر الواساني بعض أصحابه من أهل بلده فلما أكلوا وشربوا عبثوا به وبزرعه وشجره ومتاعه ومؤنته ، فنظم فيهم قصيدته البديعة المحفوظة برمتها في يتيمة الدهر للثعالبي . وسمعت بالعرض ذات يوم من أحد معارفي اسم « جمرايا » بالجيم فعرفت أنها هي القرية المقصودة ، ولا تسل عن شدة فرحي لما عرفت أن هذه النقطة الضالة من اسم جمرايا أضلتني وأصحابي أعواماً ، والله أعلم كم أضلت أناساً قبلنا . وجمرايا قرية إلى جانب قرية الحامة على نحو عشرة كيلو مترات من غربي دمشق وعليها ينطبق الوصف الذي وصفها به الواساني .

وكنت أقرأ أيام الطلب مقامات الحريري عند أحد أئمة الأدب فوصلنا في المقامة السادسة المراغية إلى قوله : « ونثرنا العجوة والبخوة من نَوْطهم » فقال الأستاذ النجوة بالجيم لا بالخاء ، فقلت له إني راجعتها في القاموس فرأيت فيه والبخو الرُّطب الرديء الواحدة بخوة . فعجب الأستاذ فقلت له ليس هناك داع للعجب ، « رمية من غير رلم » و « للفُكش في هذه الدنيا إصابات » . ورجعنا إلى شرح المطرّزي على المقامات في طبعة بولاق سنة ١٢٧٢ هـ فإذا هي النجوة بالجيم ثم رجعنا الى شرح الشريشي على المقامات المطبوع في دار الطباعة الكبرى الأميرية سنة ١٣٠٠ هـ فإذا فيه : « ن النجوة بالجيم الرديئة هكذا كان يفسرها شيخنا أبو بكر بن أزهر عن ابن جهور ، وما وجدت في كتب اللغة أن النجوة اسم للتمرة الرديئة ، وقد بحث عنها بعض أصحابنا غاية البحث في كل كتاب يهتم فيه بذكر النخل والتمر فأخبرني أنه ما وجد لها ذكراً وأظنها لغة بصرية متعارفة بينهم في التمر الرديء لا أنها لغة عربية فاستعملها كما استعمل غيرها من لغة بلده » الى آخر ما قال :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا التحريف أيضاً شغل الشراح هذا الشغل وما أكثر ما تضل النقط !

كنت أقرأ كلاماً للجاحظ وعندي عالم عربي نشأ في البادية فورد معي « وروغان الثعلب وجبن الصقر » فانتبه الأستاذ حالاً وقال : الصقر ليس بجبان بل هو معروف بالشجاعة . ولما رجعنا إلى حياة الحيوان عرفنا أن التحريف جاء من الصقر، وصحة العبارة « أجبن من الصِّفَرِد » كزبرج وهو طائر جبان ويقال له أبو المنيح .

والناظر في المطبوعات التي تنشر اليوم من كتب الأقدمين يسجل من هذا أشياء كثيرة لا غضاضة على ناشريها إذا تصدى العارفون لإصلاحها فإن من يلي هذه الصناعة يدرك ما يلقاه الناشرون من المنت في تصحيح ما خلفته الأيام من الأصول المحرفة السقيمة فمن أصلح خمسين غلطة وغفل عن خمس غلطات ليس من العدل ان يحمل عليه ويهزأ بعمله بل بالعكس يجب الشكر له وعليه ان يشكر لمن يصرف وقته لإيقافه على ما لم يقف عليه خصوصاً ومن المسلم به ان الثقافات تختلف ونظر الناظرين يختلف فمن استوت أدواته في التاريخ قد يكون ناقصاً في اللغة ومن حفظ من اللغة جانباً قد يكون الى القصور في التاريخ والفلسفة والاجتماعيات وغيرها . ولذا كان الواجب في نشر مثل هذه الكتب ان يعهد بتصحيحها الى غير واحد من المحققين لتجيء سالمة ويرضى عنها العلماء المدققون .

مثال من ذلك ما وقع في الجزء السابع من « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لابن تغري بردي فإن المصححين بذلوا الجهد في تقويم ما لديهم من الأصول وما رجعوا اليه منها فلم يسلموا جملة من الغلط . ومنه في صفحة ٥ — ابن الملك المسعود أقسيس — وصوابه اتسيس أو أتسز أي المجرد من اللحم وهي كلمة تركية ومثله ص ٩٠ محمد المعروف بأقسيس . ص ٢٦ نشأ بقاسيون . وقاسيون جبل دمشق والصواب على ما أرى قاقون من بلاد فلسطين ص ٣٢ — المستشرق البارول رسلان . صوابه البارون دي سلان . ومثله ص ١٤١ كلرمونت جانو — صوابه كلرمون جانو ص ٣٩ يوسف بن قزأوغلي — صوابه قزأغلى ، أي ابن البنت أو السبط وهي تركيب تركي ٤٨٠ — قلت : وكلة الشيخ مطاعة ، صوابه وكلة الشيخ مطاعة . ص ١٥٠ وصافيثا ، بالثاء والصواب بالتاء وكذلك في كل محل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ووقعت عدة أعلام كتبت بالسين وهي بالشين مثل آقوش ومنكورش ص ٢٠٣ صفية خاتون ، والصواب ضيفة خاتون لأنها ولدتها أمها في دار جماعة كانت في ضيافتهم فسموها ضيفة . ص ٢٨٩ — بشقراء من ضياع برزة ، والصواب في الحاشية من ضياع زرع وهي من أرض حوران . ص ٣٠١ — حصن بَرْزة — حصن برزيه

ووقع لناشري كتاب الأغاني على ما بذلوا من العناية البالغة في التصحيح بعض تصحيفات وتحريفات ، ومنها في الجزء السابع (ص ٢٦) إن يزيد بن عبد الملك « كان خرج الى قرين متبدياً به » وعلق الشارح أو الشراح على قرين انها موضع باليمامة يسمى قرين نجدة قتل عنده نجدة الحَرَوْري . والصحيح ان يزيد بن عبد الملك وهو خليفة ومصاب بالسل ما كان له ان يتبدى في نجد أو اليمامة ، وبين عاصمة الأمويين دمشق وأول بلاد نجد نحو خمس عشرة مرحلة ، والصحيح أنه تبدّى في فَدَيْن ، وفدين من أقصى أرض حوران من عمل دمشق ، وكان معظم رجال بني أمية يسكنون في قصور لهم قريبة من دمشق . ثم إن نص الأغاني نفسه يفهم منه غير ما فهمه الشراح ، ذلك لأن أبا الفرج يقول : « إن يزيد بن عبد الملك كان خرج إلى فدين متبدياً ، وكان هناك قصر لسعيد بن خالد بن عمرو ابن عثمان» ويقول ياقوت في المعجم: « وسعيد بن خالد بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان بن أبي العاص بن أمية الأموي العثماني الفدَيني خرج في أيام المأمون وادعى الخلافة بعد أبي العُمَيْطر ... » وبذلك استقام اسم البلد على فدَيْن حتماً ، ويؤيد ذلك أيضاً ان المؤرخين قالوا إن الخليفة كان يتنزه في ناحية الاردن ومثل ذلك يقال فيما ورد في ص ٢٨ من هذا الجزء أيضاً أن الوليد بن يزيد خرج يريد « فرتنى » ، وفسروها بأنها قصر بمرو الرُّوز ، وما عرف أن الوليد ابن يزيد وهو خليفة ذهب الى مرو الرُّوز ، وهي على نحو اربعين مرحلة وأكثر من عاصمته . وهذه الكلمة أيضاً محرفة عن فدَيْن ، وليس من المعقول أن يبعد الخليفة عن أم قراه هذا البعد الشاسع .

وورد في الجزء الثامن (ص ١٠٣) قول جميل :

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها وقد قَرُبت بُصرى أمصر تريد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال الشارحون هكذا في الأمالي وفي الأصول وقد قربت نضوي أي ناقلتي الهزيلة ولعل الكلام يستقيم بنضوى اكثر من بصرى إلا إذا ثبت ان حبيبة جميل كانت ترحل معه من الجزيرة الى الشام ومنها أراد أن يفارقها إلى مصر . وفي هذا الجزء أيضاً غلط الناشر بقوله إن إبراهيم بن العباس الصولي هو ابن العباس ابن الأحنف ، وإنما العباس بن الأحنف خاله وعلى ذلك يدل سياق الحديث أيضاً قال : حدثني الصولي قال حدثني القاسم بن اسماعيل قال : سمعت ابراهيم بن العباس يقول : ما رأيت كلاماً محدثاً أجزل في رقة ، ولا أصعب في سهولة ، ولا أبلغ في إيجاز ، من قول العباس بن الأحنف :

تعالَيْ نجدد دارس العهد بيننا كلانا على طول المقام ملول

وفي ص ٣٥٣ : أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو ذكوان قال : سمعت إبراهيم ابن العباس يصف العباس بن الأحنف فقال : كان والله ممن إذا تكلم لم يُحب سامعه أن يسكت ، وكان فصيحاً جميلاً ظريف اللسان لو شئت أن تقول إن كلامه كله شعر لقلت . وهذا القول لا يقوله ولد في والده . ثم إنه ما قال أحد أن في نسب العباس بن الأحنف لقب « الصولي » والصولي لقب إبراهيم بن العباس وابن الأحنف عربي معروف .

ووقع للعلامة احمد زكي باشا رحمه الله بعض تحريفات في نشره كتاب « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » لابن فضل الله العمري منها تشديده ميم سلمية وسين عسال وهما سَلْمِيَة وعِسال بالتخفيف والفتح فقط ، وأعجم السين من سرعين وسميساط ، وأعجم الدال من بلودان وسدوم ، فقال بلوذان وسذوم ، وحرف دير الفاروس باللاذقية بالقاروس في ثلاثة مواضع وهو بالفاء ، وقال حُمة جدن وهي حُمة جَدَر ويقال لجدر أم قيس المعروفة اليوم بمكيس إحدى المدن العشر المعروفة في التوراة وقال « جسر يعقوب » والصواب جسر بنات يعقوب وسمى « العَمْق » « العمقا » وقال « دنين » قرية شرقي حوران وهي ديبين قرية معروفة الى اليوم وزعم أن الترك سموا « نزيب » تمييزاً لها عن نصيبين التي في العراق (والأصح في الجزيرة) وأنهم قالوا « إربد » تمييزاً لها عن إربل بأرض الموصل والحقيقة أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسم إربد لم يتغير عن هذا الرسم منذ دخول العرب الى عهد الترك الى خروجهم من الديار الشامية . قال ياقوت في معجم البلدان : أرْبدُ بالفتح ثم السكون والباء الموحدة قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين الطريق المغرب . وكانت أربد مركزاً من مراكز حمام الزاجل وهجين الثلج ومنابر النار المعروفة على عهد المماليك تصل بين مصر والشام ، وقد ورد ذكرها مرات في « زبدة كشف الممالك » خليل ابن شاهين الظاهري المطبوع في باريز ، والتعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري المطبوع في القاهرة . ولم ترد إربل باللام قط في عهد العثمانيين فقد جاء في التقويم السنوي (سالنامه) عن سنة ١٢٩٨ هـ المطبوع بدمشق باللغة التركية بالدال اربد وكذلك في قاموس الأعلام لشمس الدين سامي المطبوع في الاستانة وهكذا ينطق بها أهل ذاك الأقليم والأقاليم المجاورة

وبعد فإني كثيراً ما كنت أسمع أن ابن خلدون أجاد في مقدمة تاريخه ولم يجد في تاريخه ، وما عرفت سرّ ذلك إلا لما اقترح عليّ أن أنظر في الجزء الثالث من تاريخه ليعاد طبعه ، وكان طبع في المطبعة الأميرية ، وقديماً كان اسم الكتاب المطبوع في هذه المطبعة مشهوراً بالدقة والعناية فماذا رأيت فيه ؟ رأيت لما توفرت على النظر فيه تصحيفات مخجلة في الأعلام وغيرها أفسدت المعنى وأضلت القارئ . ولا أغالي إذا قلت إني رأيت في كل صفحة عشر غلطات فظيعة ، دع ما سقط من الكلمات والجمل ، وأحياناً صفحات برمتها . وقد صححت مئة وخمسين صفحة ثم اعتذرت للطابع لأني لا أحب أن أصرف من حياتي حولاً كاملاً في تصحيح جزء من تاريخ ابن خلدون ، على أن تقويمه الآن ليس من المتعذر متى عرفنا المصادر التي أخذ عنها ابن خلدون ، وقد اعتمد في الأكثر على ابن جرير الطبري وابن الأثير الجزري المطبوعين في ليدن بعناية علماء المشرقيات جزاهم الله عن أدبنا ولغتنا خير جزاء ودفع عن كتبنا ما عمت به البلوى من التصحيف والتحريف .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net